المبحث الرابع

مصر في العصر الحجري الحديث

الفيـــــــوم :

تعتبر منطقة الفيوم من اقدم مواقع العصر الحجري الحديث في وادي النيل ويقع ما يعرف بمنخفض الفيوم على بعد حوالي تسعين كيلو مترا الى الجنـوب مـن القـاهرة ويقـع غـير بعيـد عـن اطراف الصحراء الليبية الشرقية ٠

ان اتصال منخفض الفيوم بنهر النيل كان محددا ويكاد يكون منفصلا عنه الا من الناحية الشرقية حيث يوجد مجرى الهوارة في داخل منخفض الفيوم وقد اكتشفت مدرجات حول هذا المجـــرى وعلى جانبيه(١٧٠) ٠ وتغطي هذه المدرجات حصباء ورمال وجدت فيها اصداف لمياه عذبة وترجع للفترة الاخيرة من عصر البلايستوسين وبدايات العصر الحجري الحديث ٠ ويمكن تتبع المدرجات اعتبارا من اعلاها وتبدو واضحة لتندمج مع مدرجات نهر النيل ٠ ويذكر الباحث اركل المعروف بدراساته الخاصة بالشمال الافريقي عامة بأن منخفض الفيوم قد تكون بفعل المياه التي كانت تسير من الغرب الى الشرق وصولا الى نهر النيل ٠

لقد درست الباحثة البريطأنية كاتون تومبسون(١٧١) منخفض الفيوم ومدرجاته في السنوات ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨ ، واسفرت نتائج دراستها من الناحيتين الخاصتين بالجغرافية الطبيعية والتضاريسية عن حضارتـــين متميزتين لمستوطني الفيوم وهي حضارة الفيوم(أ) والفيوم(ب) ٠

تتميز حضارة المرحلة الاولى والتي توضحها العشرة امتار الاولى من اعلى المنخفض بانتاج الادوات الحجرية التي قوام صـــــناعتها الفؤوس

Scanned by CamScanner

والمقاشط المصقولة وفي نفس الموقع وجدت فيما بعد صناعة مناجل حصاد وانتاج فخار سمج وارجعت الباحثة تومبسون هذه المرحلة الى فترة تمتد بحوالي ٥٠٠٠ عام ق٠م ٠ اما المرحلة التالية وهي مرحلة حضارة الفيوم(ب) فانها على الرغم من احتوائها على مرحلة انتاج احدث من المرحلة الاولى فانها مع ذلك ذات مستوى حضاري ادنى من الاولى وتختفي صناعة الفخار فيها ايضا وتؤرخ الباحثة نفسها هذه المرحلة بحدود حوالي ٤٥٠٠ق٠م ٠ وبضمنها مدة ٨٠٠ سنة للمجموعتين(١٧٢) ٠

عرفت جماعات الفيوم صناعة الادوات من العظام والاصداف ٠ ان الانتاج الحضاري في مستوطن منخفض الفيوم فلا ينفصل عن التطور السابق في المنطقة نفسها والذي عرفتها ممارسة التجمعات السكانية في المنطقة لصيد الحيوانات والاسماك بشكل خاص وذلك قبل اكثر من الف عام من فترة الفيوم (أ) ٠ وكذلك تؤكد دراسات الباحثين المتخصصين معالم الحضارات من جنوب غرب آسيا واحتمال هجرات سكانية من هذه المناطق الاخيرة الى شمال افريقيا بشكل عام والى مناطق شمالي وادي النيل بشكل خاص ٠

ان اتصالات مع افريقيا واضحة بدليل وجود رؤوس السهام ذات القاعدة المجوفة والفؤوس ذات المحاجر والاحجار الزرقاء والاحجار المعروفة بالامازونيت التي استخدمت في صناعة الحلي والتي يبدو ان مصدرها في مناطق الصحراء الشرقية وبشكل خاص مناطق تبستي(١٧٣) ٠

وقد تم العثور على ادوات كانت تستخدم للحصد وكانت لهذه السكاكين أو المثاقب المصنوعة من الخشب نصال حادة تعرف اليوم بالمناجل ٠

عرف سكان المستوطن زراعة الكتان وصناعة الفخار المتميز بكونه من النوع المدلوك والمملون باللون الاحمر ـ القهوائي أو الاسود وعرف بانه غير مزين بأية عناصر زخرفية ٠ وتشير مثل هذه المستويات الصناعية للفخار الى

Scanned by CamScanner

احتمال علاقات مع المناطق الشرقية للبحر المتوسط وبلاد الشام او عن طريقها مع امكانية وجود اضافات محلية لمثل هذه الصناعة . ووجدت بقايا من الحفر التي كانت مستخدمة للخزن وكانت هذه الحفر مغطاة من الداخل بالحصران والتبن . ومع عدم وجود اية ظواهر للبناء فالاحتمال ان تكون مقرات السكنى عبارة عن اكواخ من البردي(١٧٤) .

ويتوضح تطور طبيعة المعيشة خلال هذه الفترة من العصر الحجري الحديث في وادي النيل من بقايا مستوطن مرمدة في شمالي وادي النيل وعلى الحدود الصحراوية مع ليبيا وعلى مسافة حوالي الخمسين كيلوا مترا الى الغرب من القاهرة .

ولقد شخص المنقبون جنكلر ومنكن وشافر عائدية(١٧٥) المستوطن الى العصر الحجري الحديث في وادي النيل ، وعثر هؤلاء المنقبون على بقايا لدور سكن مبنية بالطين وتحت نفس ارضيات السكن كان يتم دفن موتى التجمع السكاني خلال هذه الفترة وكما هو الحال بالنسبة لمواقع عديدة أخرى واحيانا كان يتم دفن هؤلاء الموتي خارج المستوطن . ومن الملاحظ ان اتجاه الجثة كان نحو الشرق وكان اسلوب الدفن يتم بثني الجثة بصورة يتم فيها التصاق حنك الفك الاسفل مع ركبة الرجل (١٧٦) .

ومن المعالم الحضارية الاخرى التي اوضحتها نتائج تنقيبات مستوطن مرمدة أو مرمدة سلامة قيام التجمع السكاني فيها بصناعة نسيج الحصران والغزل وصناعة احجار خاصة لطحن الحبوب وتم العثور على بقايا صناعات من العظم والعاج والصدف(١٧٧) . وعثر ايضا على معالم صناعة فخارية ووجدت نماذج من هذه المصنوعات في مدافن المستوطن(١٧٨) . وعثر على انواع من المناجل المستقيمة والمرجح ان تكون قد انتجت بفعل وجود جماعات مهاجرة من مناطق جنوب غرب آسيا وبالذات من اريحا ومناطق جبل الكرمل(١٧٩) .

Scanned by CamScanner

العمـــــــرة :

وفي المناطق المعروفة بمصر العليا عرفت حضارتان متطورتان نسبيا ترجعان أيضا الى العصر الحجري الحديث في وادي النيل هما حضارتا العمرة وحضارة نقادة الاولى ويتوضح التطور خلال هذه المرحلة بشكل خاص في صناعة الفخار الذي تميز بزينات من وحدات زخرفية ذات طابع محلي خاص مع امكانية رصد تأثيرات سكان تجمع آخر يعرف بانه قد يكون من مناطق جنوبية من السودان أو من الغرب في الصحراء ·

لقد تميزت النماذج من المصنوعات الفخارية وكذلك وحداتهـــا الزخرفية المزينة لها بكونها مختلفة · وتتعاصر معها انتاجات أخرى مصنوعة من الحجر والعاج والعظام والقواقع والخشب والجلد اضافة الى صناعة واضحة المعالم للنسيج(١٨٠) ·

لقد عرف سكان المستوطن صناعة النحاس المطروق ووجدت نماذج هذه الصناعة ايضا في مستوطن آخر مجاور يعرف بمستوطن بداري(١٨١) · ومن المصنوعات المميزة من هذا المعدن : الابر ورؤوس السهام والخواتم · كذلك عرفوا استخدام وصناعة الذهب والفضة ولكن بشكل نادر وقليل(١٨٢) . وتم العثور على مجموعات من الدمى المصنوعة من الطين والممثلة لرجال عراة ونماذج أخرى من الدمى لنساء تميزت بتصفيف فريـــــد للباس أو لشعر رؤوسهن ·

وفي نفس المنطقة تتوضح معالم استقرار تجمعات سكانية أخرى جديدة اعتبرت امتدادا لنفس التجمع السكاني. الا ان طبيعة الانتاج الحضـــاري للتجمع الجديد تتميز باختلاف واضح عن انتاج الجماعات السابقة · وتعرف هذه الجماعات الجديدة بالجماعات الجزرية التي تواجدت في هذه المناطق من الدلتا في بدايات الالف الرابع قبل الميلاد وبشكل خاص في الموقع النموذجي المعروف بموقع أو مستوطن العمرة ·

وقوام أو خصوصية الانتاج الحضاري والصناعي بشكل خاص الجرار

الفخارية المعمولة باشكال لحيوانات ومن نفس الاشكال نماذج اخرى مصنوعة من الحجر والمقترح ان تكون مثل هذه الصناعات الجديدة ذات تأثيرات مباشرة من مناطق جنوب غرب آسيا وخاصة من مناطق جنوب وادي الرافدين والمقترح كذلك ان تكون قد حدثت هجرات سكانية من هذه المناطق باتجاه الدلتا المصرية(١٨٣) .

والجدير بالذكر ان ما يؤيد مثل هذا الاقتراح العثور على صناعة للفخار تتميز بزينات قوامها وحدات زخرفية تعتبر اصيلة ومألوفة في كل من وادي الرافدين ومواضع أخرى في ايران وبالذات من المرحلة الحضارية المعروفة بحضارة العبيد الاصيلة في وادي الرافدين .

ومما يزيد مثل هذا الرأي ثباتا العثور على اختام مزينة بوحدات زخرفية مألوفة على نطاق ملموس في وادي الرافدين من فترة حضارة العبيد الانفة الذكر والتي تسبق حضارتها المميزة بما يزيد على الالف والخمسمائة عام تقريبا . هذا اضافة الى امكانية توضيح مدى تأثير هذه الجماعات السكانية في مستوطناتهم الجديدة في الاقسام الشمالية من وادي النيل بالجماعات التي سكنت مستوطنات أخرى محلية وقريبة معروفة بانتاجاتها لصناعات قوامها صناعات نعرفها اليوم بانها من الصناعات الدقيقة ومنها السكاكين المصنوعة من احجار الصوان التي تكون اشكالها مستقيمة واحيانا مقوسة بنسب غير حادة(١٨٤) .

ومن المعروف ان مثل هذه النماذج من السكاكين كانت مزودة بمقابض مصنوعة من العاج(١٨٥) . وزين مثل هذه المقابض أو زين بعضها باشكال هي في الواقع عبارة عن نقوش يمكن اعتبارها اصيلة أو محلية وتتوفر نماذج عديدة تبدو مشابهات لها مزدانة بموضوعات متكاملة توضح جوانبا من الحياة الاجتماعية والدينية هذا اضافة الى الناحية التقنية التي ترتبط باسلوب صناعي محلي وامكانية متمكنة في تأدية موضوع متكامل معين في حيز محدود وضيق .

Scanned by CamScanner

كذلك يتميز تطور محلي خاص في دفن الموتى خلال هذه المرحلة من بدايات الالف الرابع ق٠م ٠ ففي مثل هذه المنطقة من الدلتا توضح نتائج التنقيبات من نهايات المرحلة الاخيرة من سكنى الجزيرين المثور على قبور تصل مساحاتها الى ٥ر٢ × ٢م٢ ، وتبدو مقسمة بدورها بواسطة قواطع واحد منها مقسم الى قطاعين الاول وجد انه مخصص لدفن الجثة والآخر كان مخصصا لحفظ عوائد المتوفي ٠ ويمكن تصور الصلة التي تطورت منها قبور الموتى في وادي النيل والاهتمام المتزايد في ابنيتها وموجودات مثل هذه الابنية الفريدة من نوعها في وادي النيل بشكل خاص لتصل الى بناء الاهرامات وموجوداتها المعروفة فيما بعد .

بـــــــــداري :

يقع مستوطن البداري الذي يعود للعصر الحجري الحديث في وادي النيل جنوب شرق اسيوط وعلى الضفة الشرقية لمجرى نهر النيل ٠

وكان المنقب البريطاني برونتون قد توصل الى اكتشاف مدافن في مستوطن بداري وذلك في عام ١٩٢٢ وتلت هذه الحفريات تنقيبات تالية للسيدة كاتون تومبسون في موقع يعرف بالحمامية القريب من مستوطن بـــداري ونشر الباحثان نتائج اعمالهما بشكل مشترك وذلك عام ١٩٢٨(١٨٦) واعقب ذلك اجراء تنقيبات برونتون وتنقيبات أخرى في عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ في موقع آخر من العصر الحجري الحديث يعرف بديرطاسة ، حيث عثر على قرية ومقبرة ويستنتج هؤلاء المنقبون ان جماعة مستوطن طاسة هم في الحقيقة اسلاف جماعة مستوطن بداري(١٨٨) ٠

والمعروف عن جماعات المستوطن انهم قد يكونوا اصلا قد جاءوا من الجنوب أو الشرق وتوصلوا الى معرفة الزراعة والرعي وتربية المواشي والحراف ومعظم الادوات الحجرية المكتشفة في مستوطن بداري وجد انها من حجر الصوان بما في ذلك الاسلحة المنتجة من نفس المادة ٠ ومن حجر الشست عثر على انواع صغيرة قد تكون قطعا تستخدم لخلط اللون او الالوان عليها كما هو الحال بالنسبة لنماذج مشابهة عثر عليها في مواقع عديدة في وادي الرافدين مثلا٠

وعثر على نماذج من جرار صغيرة مصنوعة من العاج . اضافة الى مجموعات من الحلي الاخرى بما في ذلك قلائد مصنوعة من حبات من الحجر مثل اللاكابيز والكوارتز والتوركواز .

لقد دفن سكان بدارى موتاهم في قبور منفردة وبوضعيات يبدو فيها الرأس باتجاه الجنوب والجسد باتجاه الغرب ومع الجثة وجدت في احيان كثيرة نماذج من الفخار وعدة خاصة(١٨٩) . ومن دراسة موجودات قبور الموتى يتبين احتمال تأثيرات عراقية قد تكون سومرية(١٩٠) .

Scanned by CamScanner